فقه الدعوة في صلح الحديبية

الأستاذ الدكتور
سليمان بن قاسم بن محمد العيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب

علمية ـ دورية ـ محكّمة

في هذا العدد

- الفتن والأحكام السلطانية في البيان النبوي. — د. محمد بن سليمان الصيقل
- التحليل البيولوجي للجينات البشرية وحجيته في الإثبات. — د. محمد بن يحيى النجيمي
- فقه الدعوة في صلح الحديبية. — د. سليمان بن قاسم العيد
- إقرارات الذمة للعمال ومقاسمتهم وأوّليات الخليفة عمر بن الخطاب. — أ.د. علي محمد حسنين حماد
- الإعلام وأثره في تربية الأسرة المسلمة: الواقع والمطلوب. — د. عبدالله بن محمد حريري
- أثر نظام الدولة القانونية في حماية حقوق الإنسان. — د. أحمد باسل نورالدين الرفاعي
- الإدارة المدرسية في مواجهة ظاهرة الانحراف الأمني. — د. عبدالمحسن بن محمد السميح
- الحماية القانونية لسرية الاتصالات الالكترونية (باللغة الإنجليزية). — د.مارشا غايب قطرية

السنة ١٩

المجلد ١٩ العدد ٣٧ محرم ١٤٢٥هـ تصدرها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

ردمد. ١٢٤١ ـ ١٣١٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقه الدعوة في صلح الحديبية

د. سليمان بن قاسم العيد(*)

الملخـــص

صلح الحديبية هو الصلح الذي جرى بين رسول الله (ﷺ) وبين كفار قريش ، وقد تجلت حكمة رسول الله (ﷺ) الدعوية من خلال هذا الصلح ، حيث كان فتحاً ونصراً للأمة الإسلامية ، في حين أنه قد خفيت هذه الحكمة على بعض كبار الصحابة (رضي الله عنهم) ، فظنوا في بداية الأمر أنه تنازل . ولقد كانت بنود الصلح التي تم الاتفاق عليها : وقف الحرب عشر سنين ، و من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من محمد لم يردوه عليه . وألا يعتمر في هذه السنة بل في السنة التي بعدها ، و من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل . ووقف الحرب الكلامية بينهم ، وأنه لا خيانة ولا سرقة خفية .

ولقد كان في جميع هذه البنود عاقبة حميدة ، مما نتج عنها نصر المسلمين بفتح مكة وكثرة من دخل في الإسلام بسبب هذا الصلح ، ونحو ذلك من المصالح الدعوية .

(*) كلية التربية ، قسم الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقديـــــم

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً (ﷺ) بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴿١٢٥﴾﴾ (سورة النحل)، والحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[٢]، وهي أيضاً إصابة الحق بالعلم والعدل[٣]. وعلى هذا الأساس فإن الحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه هي سلوكها بأحسن الطرق وأعدلها. وقد تجلت حكمة النبي (ﷺ) الدعوية في مواقف كثيرة، منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خلاف ذلك، ومن تلك المواقف الدعوية التي لم تظهر الحكمة فيها لبعض صحابته (رضي الله عنهم) في بداية الأمر (صلح الحديبية). ومحاولة لبيان أوجه الحكمة الدعوية في هذا الصلح اخترت هذا البحث الموسوم بـ (فقه الدعوة في صلح الحديبية).

أهمية الموضوع

إن لصلح الحديبية أهمية كبرى في تاريخ الدعوة الإسلامية، ولذلك فقد سماه الله سبحانه وتعالى فتحاً مبيناً بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾(سورة الفتح)، والفتح المراد هنا هو الحديبية، ففي البخاري عن أنس (رضي الله عنه)﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: الحديبية[٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ١٤١ مادة [حكم].
(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة [حكم] ص ٢٤٩.
(٣) الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيه أيضاً عن البراء (رضي الله عنه) قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[1]. وقال جابر: «ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية»[2]. فقد كان هو السبب المباشر في فتح مكة، وكان فتح مكة سبباً في دخول الناس في دين الله أفواجاً، حتى سمي العام التاسع الذي يلي الفتح عام الوفود[3]. قال النووي في الصلح: «وثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجا»[4]. فمعرفة الحكمة الدعوية لرسول الله (ﷺ) في هذا الصلح الذي كانت له تلك النتائج الباهرة التي سيأتي بيانها - إن شاء الله تعالى - في ثمار الصلح أمر مهم.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث بعدم إدراك كثير من الناس الحكمة الدعوية من الصلح، كيف لا وقد خفيت في بداية الأمر على كبار الصحابة كعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[5].

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٥٠.
(٢) الطبري، جامع البيان ٢٦/ ٧٠. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧٣. و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٨٢.
(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٥٥٩.
(٤) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٠
(٥) انظر الكلام على هذا الأمر عند الحديث عن موقف الصحابة (رضي الله عنهم) من الصلح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهج البحث

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي القائم على استقراء النصوص الواردة في الصلح، ومن ثم تحليلها والخروج منها بالفقه الدعوي.

تقسيم البحث

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

مقدمة

تمهيد

المبحث الأول: أسباب الصلح

المبحث الثاني: كتابة الصلح وبنوده

المبحث الثالث: المصلحة الدعوية في بنود الصلح

المبحث الرابع: ثمار الصلح الدعوية

الخاتمة

مراجع البحث

الفهرس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيـــد

تنوعت مواقف النبي (ﷺ) الدعوية ما بين حرب وسلم، وصلح ومهادنة[1]، ومن تلك المواقف الدعوية التي كان لها الأثر الكبير والنتيجة الباهرة (صلح الحديبية). فيحسن قبل الشروع في صلب الموضوع إلقاء الضوء على مكان الصلح، وزمانه، ومدته، وعدد من شهد الحديبية.

مكان الصلح

المكان الذي جرى فيه الصلح هو (الحُدَيْبية)، وقد سمي بها، ويقال (صلح الحديبية). قال الحموي في معجمه: (الحديبية) بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء اختلفوا فيها، فمنهم من شددها، ومنهم من خففها، فروي عن الشافعي (رضي الله عنه) أنه قال: الصواب تشديد الحديبية، وتخفيف الجِعرانة، وأخطأ من نص على تخفيفها، وقيل: كلٌ صوابٌ، أهل المدينة يثقلونها، وأهل العراق يخففونها. وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك، وقيل: شجرة حدباء صغرت، وسمي المكان بها. وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. وبعض الحديبية في الحل، وبعضها في الحرم وهو أبعد الحل من البيت[2].

(١) الهُدْنَة: هي المصالحة بعد الحرب. (ابن منظور، لسان العرب ١٣/ ٤٣٤ مادة [هدن]). وقال ابن قدامة: ومعنى الهدنة أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة، بعوض وبغير عوض، وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة، وذلك جائز (المغني ١٣/ ١٥٤، وانظر الكافي لابن قدامة أيضاً ٥/ ٥٧٣).

(٢) معجم البلدان ٢/ ٢٢٩. وانظر: النووي، شرح صحيح مسلم٢/ ٦٠. وابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٤. وأبو عبيد الأندلسي، معجم ما استعجم ٢/ ٣٨٤. ط١ (القاهرة، ١٣٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال ابن بليهد في وصف الحديبية: فإن جزت وادي فاطمة أتيت الموضع الذي يقال له اليوم «الشميسي» وكان يقال له في الزمن القديم الحديبية[١].

وقال عتيق البلادي: هو المكان الذي نسبت إليه إحدى غزوات النبي (ﷺ) تقع غرب مكة على بعد (٢٢كيلاً) على الطريق إلى جدة، وقد تغير اسمها إلى «الشميسي» لأنه يقال: أن رجلاً يدعى الشميسي حفر بئراً هناك فغلب اسمه عليها، وبالقرب منها من الغرب أقامة أمانة العاصمة حدائق تعرف بـ«حدائق الحديبية»[٢].

وقال حافظ الحكمي: أفادت النقول أن الحديبية تقع في الناحية الغربية من مكة، لكن الواقع أن الحديبية لا تحاذي مكة من الجهة الغربية، بل تنحرف على جهة الشمال[٣].

زمانـــة

كانت الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وقد حكى الإجماع على ذلك النووي، وابن كثير، وابن حجر، والعيني. فقد قال النووي: «وقد أجمع المسلمون أن الحديبية كانت سنة ست من الهجرة في ذي القعدة»[٤].

وقال ابن كثير: «كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف»[٥].

---

(١) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٢/ ١٣٨.
(٢) نسب حرب، ص ٥٣٠.
(٣) مرويات غزوة الحديبية، ص١٩.
(٤) المجموع ٧/ ٧٢. تحقيق محمود مطرحي.
(٥) البداية والنهاية ٤/ ١٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال ابن حجر: «كانت الحديبية سنة ست بلا خلاف»[١].

وأما العيني فقال: «وكان خروجه من المدينة يوم الإثنين لهلال ذي القعدة سنة ست بلا خلاف»[٢].

وقد شذ ابن الديبع فقال: كانت في السنة الخامسة[٣]. ولا مستند له في ذلك[٤].

ومن حيث الشهر فقد كانت في شهر ذي القعدة، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) حينما سئل، كم اعتمر النبي ﷺ؟ قال: «أربع، عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون...» الحديث[٥].

وقد حكى ابن كثير والعيني الإجماع على أنها في ذي القعدة، كما تبين في كلام كل منهما المتقدم.

وقد ورد بروايات لم تثبت أنها كانت في شوال[٦].

وأما اليوم فقد كان في يوم الإثنين، قال الواقدي «وخرج رسول الله (ﷺ) من المدينة يوم الإثنين لهلال ذي القعدة»[٧].

---

(١) تلخيص الحبير ٤/ ٩٠.
(٢) عمدة القاري ١٤/ ٦.
(٣) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ٢/ ٦٠٩.
(٤) حافظ الحكمي، مرويات غزوة الحديبية ص ٢٨.
(٥) الجامع الصحيح، كتاب العمرة، ١٧٧٨.
(٦) انظر: حافظ الحكمي، مرويات غزوة الحديبية ص ٣٠-٣٣.
(٧) مغازي الواقدي ٢/ ٥٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال ابن سعد: «وركب راحلته القصواء وخرج، وذلك يوم الإثنين»[١].

وقال القسطلاني: «وخرج (ﷺ) يوم الإثنين»[٢].

وحكى الإجماع على ذلك العيني في كلامه المتقدم. وقال الشيخ حافظ الحكمي: «ولم أر في كتب المغازي أو غيرها أحداً يذكر خلاف ذلك»[٣].

عدد أهل الحديبية

جاء في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه): «كنا أربع عشرة مائة»[٤]، كما جاء عدد آخر في روايات متعددة عند البخاري وغيره، وقد أشار إليها ابن حجر في الفتح، حيث قال: عن البراء كنا أربع عشرة مائة، وفي رواية زهير عنه أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، أو أكثر، ووقع في حديث جابر الذي بعده من طريق سالم بن أبي الجعد عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة، ومن طريق قتادة قلت لسعيد بن المسيب: بلغني عن جابر أنهم كانوا أربع عشرة مائة، فقال سعيد: حدثني جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة، ومن طريق عمرو بن دينار عن جابر كانوا ألفاً وأربعمائة، ومن طريق عبد الله بن أبي أوفى كانوا ألفاً وثلاثمائة، ووقع عند بن أبي شيبة من حديث مجمع بن حارثة كانوا ألفا وخمسمائة. والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر،

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٩٥.
(٢) المواهب اللدنية ١/ ٤٨٩.
(٣) مرويات غزوة الحديبية ص ٣٣.
(٤) الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء ألفاً وأربعمائة أو أكثر. واعتمد على هذا الجمع النووي، وأما البيهقي فمال إلى الترجيح... وأما قول عبد الله بن أبي أوفى ألفا وثلاثمائة فيمكن حمله على ما يتحقق هو عليه، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة، أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة، والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك، أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم. وأما قول ابن إسحاق إنهم كانوا سبعمائة فلم يوافق عليه، لأنه قاله استنباطاً من قول جابر: «نحرنا البدنة عن عشرة» وكانوا نحروا سبعين بدنة، وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً... والله أعلم[1].

مدتـــــه

لم يأت في رواية البخاري المطولة[2] تحديد للمدة، ولكن جاء التحديد في رواية ابن إسحاق، وقد اختلفت أقوال أهل العلم عن هذه المدة، ففي تلخيص الحبير: وقال البيهقي: والمحفوظ أن المدة كانت عشر سنين، كما رواه ابن إسحاق. وروى في الدلائل عن موسى ابن عقبة وعروة في آخر الحديث فكان الصلح بينه وبين قريش سنتين. وقال: هو محمول على أن المدة وقعت هذا القدر، وهو صحيح، وأما أصل الصلح فكان على عشر

(١) فتح الباري ٧/ ٤٤٠.
(٢) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حيث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سنين. قال ورواه عاصم العمري عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنها كانت أربع سنين، وعاصم ضعفه البخاري وغيره[١].

وقال ابن حجر: «هذا القدر الذي ذكره ابن إسحاق أنه مدة الصلح هو المعتمد، وبه جزم ابن سعد، وأخرجه الحاكم من حديث علي نفسه. ووقع في مغازي ابن عائذ في حديث ابن عباس وغيره أنه كان سنتين، وكذا وقع عند موسى بن عقبة، ويجمع بينهما بأن الذي قاله ابن إسحاق هي المدة التي وقع الصلح عليها، والذي ذكره ابن عائذ وغيره هي المدة التي انتهى أمر الصلح فيها حتى وقع نقضه على يد قريش... وأما ما وقع في كامل ابن عدي ومستدرك الحاكم والأوسط للطبراني من حديث ابن عمر أن مدة الصلح كانت أربع سنين فهو مع ضعف إسناده منكر مخالف للصحيح»[٢].

المبحث الأول: أسباب الصلح

قبل الحديث عن السبب المباشر للصلح لابد من الإشارة إلى سبب الخروج إلى الحديبية أصلاً، فلقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك كان بسبب رؤيا رآها النبي (ﷺ)، وذلك أنه رأى أنه وأصحابه دخلوا البيت الحرام وحلق بعضهم وقصر البعض.

(١) تلخيص الحبير ٤/ ١٣٠. وانظر نصب الراية ٣/ ٣٨٨.
(٢) فتح الباري ٥/ ٣٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وممن ذهب إلى ذلك الواقدي[1]، واليعقوبي[2]، والمقريزي[3]، والزرقاني[4]، والشيخ محمد بن عبدالوهاب[5] وغيرهم.

كما درج بعض المفسرين على جعل سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ... ﴿٢٧﴾﴾[6] هي تلك الرؤيا المشار إليها، فقد روى ابن جرير في تفسيره عن ابن زيد قال: قال لهم النبي (ﷺ): «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين، فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) فقرأ حتى بلغ (ومقصرين لا تخافون)[7].

وروي أيضاً عن قتادة قال: رأى رسول الله (ﷺ) أنه يطوف بالبيت وأصحابه، فصدق الله رؤياه فقال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين. حتى بلغ (لا تخافون)[8]. ويؤيد هذا الرأي (أن الرؤيا كانت قبل الخروج)

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٥٧٢ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٤ .
(٣) إمتاع الأسماع ١/ ٢٧٤ .
(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية٣/ ١٧٠ .
(٥) مختصر سيرة الرسول (ﷺ) ص ٢٦١ .
(٦) سورة الفتح، الآية ٢٧ .
(٧) جامع البيان ٢٦/ ١٠٧ .
(٨) الطبري، جامع البيان ٢٦/ ١٠٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما ورد عند البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان، أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لرسول الله (ﷺ) لما جرى الصلح: «ألست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟»[١] فظاهر سؤال عمر (رضي الله عنه) أن الحديث كان قبل الخروج، وعليه فإن الخروج كان على أثر الرؤيا.

وفي رواية ابن إسحاق كان الصحابة لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ﷺ)، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون[٢]. وعليه فإن الرؤيا كانت قبل الخروج.

وعند الواقدي «أن النبي (ﷺ) كان رأى في منامه قبل أن يعتمر أنه دخل هو وأصحابه البيت، فلما رأوا تأخير ذلك شق عليهم»[٣].

وقال ابن كثير: كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام[٤].

وهناك من ذهب إلى أن الرؤيا كانت بعد الخروج إلى الحديبية، كما روى ابن جرير عن مجاهد في قوله (الرؤيا بالحق) قال: «أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين فقال أصحابه حين نحر بالحديبية أين رؤيا محمد ﷺ»[٥]. وعلى هذا القول فلا تكون الرؤيا سبباً في الخروج.

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١ ـ ٢٣٧٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٣١٨. وانظر بن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٦.
(٣) ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٦.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٠١.
(٥) الطبري، جامع البيان ٢٦/ ١٠٧. وقال الشيخ حافظ الحكمي: سند هذا الحديث حسن إلى مجاهد، لكنه مرسل (مرويات غزوة الحديبية، ص ٢٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذهب بعض أهل العلم إلى الجمع بين القولين، باعتبار الرؤيا بالحديبية رؤيا ثانية، قال الزرقاني: «وأما ما رواه الفريابي، وعبد بن حميد، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي (ﷺ) وهو بالحديبية أنه يدخل مكة... فهي رؤيا رآها بالحديبية تبشيراً له من الله ثانياً، فلا يصح جعلها سبباً لخروجه من المدينة»[٢].

ولما عزم رسول الله (ﷺ) على الخروج استنفر العرب، ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب، ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج رسول الله (ﷺ) بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدي ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما[٣].

وفي حديث البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان «أن النبي (ﷺ) لما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة»[٤].

كما جاء في الرواية نفسها أنه قد بعث عيناً له من خزاعة[٥]، وسار

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢/ ١٧٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٣٠٨.

(٣) الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٧٩.

(٤) قبيلة من الأزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة، كانت منازلهم بأنحاء مكة في مر الظهران، كانت لهم ولاية البيت قبل قريش. (عمر كحالة، معجم قبائل العرب ١/ ٣٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبي (ﷺ) حتى كان بغدير الأشطاط[١]، أتاه عينه قال: «إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش[٢]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك». فدل ذلك على شدة خوف قريش من رسول الله (ﷺ)، كل هذا وهو لا يريد حرباً، إنما جاء معظماً للبيت الذي هم يعظمونه، وأظهر هذه النية لهم بما فعله من الإحرام وسوق الهدي.

كما تصور لنا رواية البخاري المطولة لغزوة الحديبية[٣] أحداثاً جرت بين خروج رسول الله (ﷺ) وبين سهيل بن عمرو، ومن ذلك إرسالها لخالد ابن الوليد عيناً على المسلمين، ولقد علم النبي (ﷺ) بذلك فقال محذراً لأصحابه: «إن خالد بن الوليد بالغميم[٤] في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة[٥] الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش».

(١) غدير الاشطاط قريب من عسفان، وغدير بفتح الغين المعجمة، والاشطاط بشين معجمة وطائين مهملتين جمع شط وهو جانب الوادي كذا جزم به صاحب المشارق، ووقع في بعض نسخ أبي ذر بالظاء المعجمة فيهما. (ابن حجر، فتح الباري٥/ ٣٣٣).

(٢) الأحابيش هم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش، قيل: تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم، والتحبش التجمع، والحباشة الجماعة، وروى الفاكهي من طريق عبد العزيز بن أبي ثابت أن ابتداء حلفهم مع قريش كان على يد قصي بن كلاب. (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٤)

(٣) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١ ـ ٢٣٧٢.

(٤) الغَميم هو الكلأ الأخضر تحت اليابس، قال ابن حجر: هو غير كراع الغميم الوارد في الصيام، والغميم هنا هو قريب من مكان بين رابغ والجحفة. (الحموي، معجم البلدان ٤/ ٢١٤. وابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٥).

(٥) أي غبرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما خافت قريش على نفسها طفقت ترسل الرسل لرسول الله (ﷺ). وكان النبي ﷺ قد قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها».

وكان أول رسول جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله (ﷺ)[1] من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي[2] نزلوا أعداد[3] مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل[4]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله (ﷺ): إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم[5] الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم[6] مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد

(١) العيبة ما يوضع فيه الثياب لحفظها، أي أنهم موضع النصح لرسول الله (ﷺ) والأمانة على سره. (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٧).

(٢) اقتصر على ذكر هذين لكون قريش الذين في مكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما. (المرجع السابق ٥/ ٣٣٨).

(٣) الأعداد بالفتح هو جمع عِدّ، وهو الماء الذي لا انقطاع له. (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٨).

(٤) العوذ جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها، والمراد أنهم خرجوا معهم بالإبل ذوات الألبان، ليتزودوا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد أنهم خرجوا معهم بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. (المرجع السابق ٥/ ٣٣٨).

(٥) أي أبلغت فيهم حتى أضعفتهم، إما أضعفت قوتهم، أو أضعفت أموالهم. (المرجع السابق ٥/ ٣٣٨).

(٦) أي جعلت بيني وبينهم مدة بترك الحرب بيننا وبينهم فيها. (المرجع السابق ٥/ ٣٣٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جموا[١]، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره. فقال بديل سأبلغهم ما تقول.

فتبين من هذا الحوار قوة رسول الله (ﷺ) والمسلمين وأنهم لا يخافون الأعداء، ولو اجتمعوا لحربهم، وقد رغبهم الرسول (ﷺ) بالسلم وأبدى استعداده التام للحرب والتضحية في سبيل الله إلى أقصى حد.

لما بَلغت قريشاً الرسالة اختلف رأيهم في شأنها، فالسفهاء أعرضوا عنها، ولم يرغبوا سماعها، أما عقلاؤهم، فرغبوهم بقبول ما اقترحه رسول الله (ﷺ) عليهم. ولم يُحسم الموقف في هذه المرة، فلزم أن يذهب رسول آخر.

وكان الرسول في هذه المرة عروة بن مسعود ـ وهو ممن أشار عليهم بقبول العرض ـ فجعل يكلم النبي (ﷺ) فقال له النبي (ﷺ) نحواً من قوله لبديل. إلا أن عروة بن مسعود لجأ إلى سلاح آخر، وهو الطعن في صحابة رسول الله (ﷺ) ليفقد الثقة فيهم، حيث قال: «إني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً[٢] من الناس، خليقاً أن يفروا ويدعوك». ومعنى ذلك أن العادة جرت أن الجيوش المجمعة لا يؤمن علها الفرار، بخلاف من كان من قبيلة واحدة فإنهم يأنفون الفرار في العادة، وما درى عروة أن مودة الإسلام أعظم من مودة القرابة، وقد ظهر له ذلك من مبالغة المسلمين في تعظيم النبي (ﷺ).

ولم يحتج الأمر أن يدافع رسول الله (ﷺ) عن صحابته، بل الصحابة

(١) أي استراحوا. (المرجع السابق ٥/ ٣٣٨).
(٢) وفي رواية (أوباشاً) أي أخلاطاً. (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحدثوا عن أنفسهم، فقال له أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): «امصص بظر اللات[1] أنحن نفر عنه وندعه» ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل رأى عروة بن مسعود شدة حب الصحابة لقائد الدعوة رسول الله (ﷺ)، وحرصهم عليه، والدفاع عنه، حتى من مس اليد، والأبعد من ذلك ما تنخم رسول الله (ﷺ) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

كل هذه المشاهد وغيرها أثارت الرعب في قلب عروة، حتى رجع إلى قومه وقال لهم: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد (ﷺ)»[2].

وجاء في مسند الإمام أحمد أن عروة قال: «ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء، فروا رأيكم...»[3]. وعروة بن مسعود هذا له المنزلة والشهرة في أوساطهم، حتى قال بعض المفسرين: المراد بالآية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[4] الوليد بن المغيرة أو

(١) البظر: بفتح الموحدة وسكون المعجمة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة واللات اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٠).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٢٣١، ٢٧٣٢.

(٣) المسند ٤/ ٣٢٤.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عروة بن مسعود[١]، لذا فإن كلامه لا بدأن يكون له الوقع الخاص في نفوسهم.

ونتيجة لذلك فلقد رغبهم مرة ثانية بقبول عرض رسول الله (ﷺ) عليهم. إلا أن الأمر لم يُحسم أيضاً في هذه المرة، فاحتاج إلى رسول ثالث.

وكان الرسول في هذه المرة رجلاً من بني كنانة[٢]، فلما أشرف على النبي (ﷺ) وأصحابه قال رسول الله (ﷺ): «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له» واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. وهكذا فقد عرف قائد الدعوة كيف يُستقبل ذلك الرسول بما فيه صالح الدعوة، إلا أن قريشاً ـ وللمرة الثالثة ـ لم تحسم الأمر، فاحتاجت إلى رسول رابع.

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته فلما أشرف عليهم، قال النبي (ﷺ): «هذا مكرز، وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبي (ﷺ) فبينما هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، وهو الرسول الخامس، قال النبي (ﷺ): «لقد سهل لكم من أمركم». ويبدو أن قريشاً بعد أولئك الرسل كلهم، وما علمته من قوة المسلمين، مالت إلى قبول الصلح الذي عرضه رسول الله (ﷺ) في بداية الأمر. ولقد ورد في

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١٢٧.
(٢) وهو الحليس بن علقمة كما جاء في مسندالإمام أحمد 4/ ٣٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض الروايات أن قريشاً طلبت من سهيل بن عمرو أن يذهب إلى رسول الله (ﷺ) ليصالحه[1]. ومن الجدير ذكره أن موقف النبي (ﷺ) لم يتغير من أول الأمر، وقريش هم الذين نزلوا على ما عرضه بعد ما عرفوا ما عرفوا.

ويضاف إلى ذلك كله، ما حصل من بيعة الصحابة (رضي الله عنهم) لرسول الله (ﷺ) يوم الحديبية، تلك البيعة التي تسمى (بيعة الرضوان)، أو (بيعة الشجرة)، والتي كانت لأهلها شرفاً خاصاً، فقد وصفهم الباري سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[2]. ووصفهم رسول الله (ﷺ) بأنهم خير أهل الأرض كما جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال لنا رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»[3]. وكانت البيعة على الموت، أو على الصبر في روايتين كلاهما في البخاري.

إذاً فرسول الله (ﷺ) خرج مسالماً لا يريد حرباً، وجعل على ذلك علامات ظاهرة، وهي الإحرام، وسوق الهدي، إلا أنه مع ذلك حسب حسابه وأعد عدته لو لزمت الحرب، فإن الأعداء لا يؤمن شرهم، فالسلم لمن أراد السلم جاداً، والحرب لمن أراد الحرب. وفي هذا الصنيع من قائد الدعوة تنبيه على ضرورة الإعداد للحرب حتى في وقت السلم. فلا تلقي الأمة بزمامها، وتهمل سلاحها معتمدة في ذلك على السلم.

(١) انظر الرواية الخامسة من روايات بنود الصلح.
(٢) سورة الفتح، الآية ١٨.
(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٥٤. ومسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم ١٨٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: كتابة الصلح وبنوده

كيفية كتابة الصلح

كانت قريش ـ والحال كذلك ـ قد أُرغمت على كتابة الصلح إرغاماً، فلم تكن الكتابة إلا بعد مجيء الرسول الخامس إلى رسول الله (ﷺ)، وهو سهيل بن عمرو، وقد أرسلته قريش لما رأت أنه لابد من النزول على ما أشار به عليها محمد (ﷺ). ولقد جاءت الأحاديث النبوية مبينة كيف جرت كتابة الصلح بين رسول الله (ﷺ) وسهيل بن عمرو.

وجاءت رواية البخاري مفصلة كيفية كتابة الصلح، فإنه لما جاء سهيل ابن عمرو «قال النبي (ﷺ) لقد سهل لكم من أمركم، قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي (ﷺ) الكاتب، فقال النبي (ﷺ): بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي (ﷺ): اكتب باسمك اللهم. ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال النبي (ﷺ): والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. فقال له النبي (ﷺ) على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً...»[1].

هكذا جاءت هذه الرواية مفصلة لما دار في كتابة الصلح بين رسول الله (ﷺ) وسهيل بن عمرو، وفيها الكثير من الحكم الدعوية التي تخفى على بعض الناس.

ولنا أن نتساءل هل كان تنازل سول الله (ﷺ) عن بعض ما أراده من الكتابة فيه غضاضة على المسلمين؟ لا والله، ولو كان كذلك ما فعله رسول الله (ﷺ) وهو المؤيد بالوحي من ربه سبحانه وتعالى، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى.

إن النبي (ﷺ) وافقهم في هذه الأمور للمصلحة الدعوية المهمة الحاصلة بالصلح، مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما (بسم الله الرحمن الرحيم) و (وباسمك اللهم) فمعناهما واحد، فهي لم تخرج عن الابتداء بالبسملة، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك. وكذا قوله: محمد بن عبد الله هو أيضاً رسول الله (ﷺ)، ولا في ترك وصفه (ﷺ) هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه. وإنما المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم، ونحو ذلك[2].

ثم قد يضاف إلى ذلك أيضاً أنه يحسن استخدام العبارات المشتركة بين الطرفين والتي لا غضاضة فيها على المسلمين، كما غير رسول الله (ﷺ)

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.
(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تلك العبارات، مع الحرص على تحقيق المعنى المراد، فإن رسول الله (ﷺ) أكد اتصافه بالرسالة لو لم يدون في ذلك الكتاب، إشارة إلى أن ما ذهب إليه لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً.

وهذا الإجراء من رسول الله (ﷺ) وما وراءه من الحكمة الدعوية لم يدركها بعض الصحابة (رضي الله عنهم)، وظنوا أن ذلك تنازلاً لقريش، وهذا الذي دعا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول مقالته، حيث قال لرسول الله (ﷺ): «ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا. . .؟ أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟» وقال نحواً من ذلك لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

بنود الصلح

جاء في تحديد بنود الصلح روايات متعددة تختلف فيما بينها زيادة ونقصاً وإجمالاً وتفصيلاً، ولكنها في مجملها تعطي صورة لما دار فيه من الاتفاق، وسأسوق بإذن الله تعالى بعضاً من تلك الروايات التي جاءت لتحديد البنود المتفق عليها، ومن ثم أصل إلى جملة البنود في ذلك الصلح.

الرواية الأولى:

ما جاء في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنهما) قال:

«ثم صالح النبي (ﷺ) المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء، على أن من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان[1] السلاح السيف والقوس ونحوه»[2].

الرواية الثانية:

ما جاء في صحيح البخاري أيضاً عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) خرج معتمراً، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه، وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً عليهم، إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج»[3].

الرواية الثالثة:

ما جاء في مسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: وادع رسول الله (ﷺ) المشركين يوم الحديبية على ثلاث: من أتاهم من عند النبي (ﷺ) لن يردوه، ومن أتى إلينا منهم ردوه إليهم، وعلى أن يجيء النبي (ﷺ) من

---

(١) قال أبو إسحاق السبيعي: جلبان السلاح هو القراب وما فيه، والجلبان بضم الجيم قال القاضي في المشارق: ضبطناه جُلبان بضم الجيم واللام وتشديد الباء الموحدة قال وكذا رواه الأكثرون، وصوّبه ابن قتيبة وغيره، ورواه بعضهم بإسكان اللام، وكذا ذكره الهروي وصوبه هو وثابت، ولم يذكر ثابت سواه، وهو ألطف من الجراب، يكون من الأدم يوضع فيه السيف مغمداً، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته، ويعلقه في الرحل (النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٦، وابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٠٥).

(٢) الجامع الصحيح، كتاب الصلح، حديث رقم ٢٧٠٠. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ١٧٨٣.

(٣) الجامع الصحيح، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٢٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العام المقبل وأصحابه، فيدخلون مكة معتمرين فلا يقيمون إلا ثلاثاً، ولا يدخلون إلا جلب السلاح: السيف والقوس ونحوه»[١].

الرواية الرابعة:

ما جاء في سنن أبي داود من رواية ابن إسحاق عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: ثم أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيهن الناس، وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا أغلال. .»[٢].

وجاء عند ابن هشام من رواية ابن إسحاق عن الزهري: «. . . وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه»[٣].

الرواية الخامسة:

جاء في سنن البيهقي من حديث ابن إسحاق قال حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فدعت قريش سهيل بن عمرو، فقالوا: اذهب إلى هذا الرجل فصالحه، ولا يكونن في صلحه إلا أن عامه هذا لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة، فخرج سهيل بن عمرو من عندهم، فلما رآه رسول الله (ﷺ) مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى إلى

(١) المسند ٤/ ٣٠٢

(٢) كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٧٦٦. وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٣٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٣١٧. وأورده ابن كثير من حديث الزهري في البداية والنهاية ٤/ ١٦٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسول الله (ﷺ) جرى بينهما القول حتى وقع الصلح، على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن يرجع عنهم عامهم ذلك، حتى إذا كان العام المقبل قدمها خلوا بينه وبين مكة، فأقام بها ثلاثاً، وأنه لا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف، وأنه من أتانا من أصحابك بغير إذن وليه لم نرده عليك، وأنه من أتاك منا بغير إذن وليه رددته علينا، وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال»[1].

والروايات في ذلك كثيرة جداً إلا أن هذه الروايات المختارة تشمل جميع البنود التي تم الاتفاق عليها بين الطرفين.

من مجموع الروايات السابقة يمكن الوصول إلى جملة البنود الواردة في الصلح على النحو والتالي:

١ ـ وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٢ ـ من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً من محمد لم يردوه عليه.

٣ ـ أن يرجع عنهم عامهم هذا، ولا يدخلوا مكة. إذا كان العام المقبل خلوا بينهم وبين مكة فدخلوها، وأقاموا بها ثلاثاً، وأنهم لا يدخلونها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القرب.

٤ ـ من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل.

---

(١) السنن الكبرى ٩/ ٢٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥ ـ أن بيننا عيبة مكفوفة

٦ ـ لا إسلال ولا إغلال.

موقف الصحابة (رضي الله عنهم) من الصلح:

جاء في رواية البخاري التصريح بأن المسلمين استنكروا الصلح، حيث قالوا: «سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً»[١] وكانوا على رأي عمر في ذلك، وظهر من الرواية أن الصديق (رضي الله عنه)لم يكن في ذلك موافقاً لهم، بل كان قلبه على قلب رسول الله (ﷺ).

وتمثل موقف عمر (رضي الله عنه) بقوله لرسول الله (ﷺ): «ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا... أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟» وقال نحواً من ذلك لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

والدنية النقيصة والحالة الناقصة، قال العلماء: لم يكن سؤال عمر (رضي الله عنه) وكلامه المذكور شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه (رضي الله عنه)، وقوته في نصرة الدين، وإذلال المبطلين. وأما جواب أبي بكر (رضي الله عنه) لعمر بمثل جواب النبي (ﷺ) فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله، وبارع علمه، وزيادة عرفانه، ورسوخه في كل ذلك، وزيادته فيه كله على غيره (رضي الله عنه)[٢].

(١) الجامع الصحيح، كتاب الشروط حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكانت إجابة النبي ﷺ لعمر بقوله: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قال عمر: قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف».

وكان جواب أبي بكر لعمر نظير جواب رسول الله (ﷺ)، وفيه دلالة على أن أبا بكر كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول الله (ﷺ)، وأعلمهم بأمور الدين، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى. وجاء في قصة الهجرة[1] أن ابن الدغنة وصف أبا بكر الصديق بنظير ما وصفت به خديجة رسول الله (ﷺ) سواء من كونه يصل الرحم، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق، وغير ذلك، ولما كانت صفاتهما متشابهة من الابتداء استمر ذلك إلى الانتهاء[2].

ولكن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما اتضحت له المصلحة الدعوية في ذلك الصلح أخذ يحاسب نفسه على مراجعة رسول الله (ﷺ)، فقد جاء في رواية البخاري قول عمر «فعملت لذلك أعمالاً»، المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداءً، وقد ورد عن عمر التصريح بمراده بقوله أعمالاً، ففي رواية ابن إسحاق وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به[3]. وعند الواقدي من حديث ابن عباس قال عمر:

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب المناقب، حديث رقم ٣٩٠٥.
(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٦.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٣١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً، وصمت دهراً[١]. وقال السهيلي: ما حصل من عمر توقف منه ليقف على الحكمة في القصة وتنكشف عنه الشبهة، ونظيره قصته في الصلاة على عبد الله بن أبي، إن كان في الأولى لم يطابق اجتهاده الحكم، بخلاف الثانية، وهي هذه القصة، وإنما عمل الأعمال المذكورة لهذه وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه، بل هو مأجور، لأنه مجتهد فيه[٢].

ويضاف إلى ذلك من الفوائد الدعوية في موقف أبي بكر وعمر في هذا الصلح: التكامل بين رجال الدعوة، في المواقف والآراء. ويؤكد هذا التكامل ما جاء في قصة استخلاف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يستشير الناس في عمر حين دعا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنه أفضل من رأيك فيه من رجل، إلا أنه فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه[٣].

وهذا مما يدل على التوازن بين الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) في سياسة الأمة وطريق الدعوة.

(١) الواقدي، المغازي ٢/ ٦٠٧.
(٢) ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٦.
(٣) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٣٥٢، ٣٥٣. وابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢ / ٧٩، ٨٠. والسيوطي، تاريخ الخلفاء ص ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث: المصلحة الدعوية في بنود الصلح

البند الأول: وقف الحرب

جاء ذكر المدة في صحيح البخاري من غير تحديد لقدرها، وأما التحديد فجاء من رواية ابن إسحاق بعشر سنين، وهذا القدر المحدد بعشر سنين هو الذي رجحه كثير من أهل العلم.

والذي جاء في رواية ابن إسحاق: «وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس»[1].

ومن الجدير ذكره أن النبي (ﷺ) لما عرض عليهم ترك الحرب مدة رغبهم في ذلك، وبين لهم ما يجنونه من المنافع حتى إمكانية انتصارهم عليه، حين قال: «فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا» وبين ذلك ابن حجر بقوله: وقوله: ويخلوا بيني وبين الناس أي من كفار العرب، والتقدير فإن ظهر غيرهم علي كفاهم المؤنة، وإن أظهر أنا على غيرهم فإن شاءوا أطاعوني، وإلا فلا تنقضي مدة الصلح إلا وقد جموا، أي استراحوا، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة، أي قووا.

ووقع في رواية ابن إسحاق: وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، وإنما ردد الأمر مع أنه جازم بأن الله تعالى سينصره ويظهره، لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم، وفرض الأمر على ما زعم الخصم، ولهذه النكتة حذف القسم الأول، وهو التصريح بظهور غيره عليه، لكن وقع التصريح به في رواية ابن إسحاق، ولفظه: فإن أصابوني كان الذي أرادوا[2].

---

(١) راجع روايات بنود الصلح.

(٢) فتح الباري ٥/ ٣٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لابد من العلم أن الحرب في الدعوة الإسلامية ليست هدفاً لذاتها، ولا يُلجأ إليها إلا بعد عدة مراحل، ويدل على ذلك ما ورد في صحيح مسلم من حديث بريدة عن أبيه عن رسول الله (ﷺ) قال:

«. . . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء[1] شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»[2].

وتتمثل هذه الخطوات بالمخطط الآتي: -

(١) الغنيمة ما كسبه المسلمون من أموال المشركين بحرب، وأما الفيء ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب. (انظر: ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ٤٤٦).
(٢) كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ١٧٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

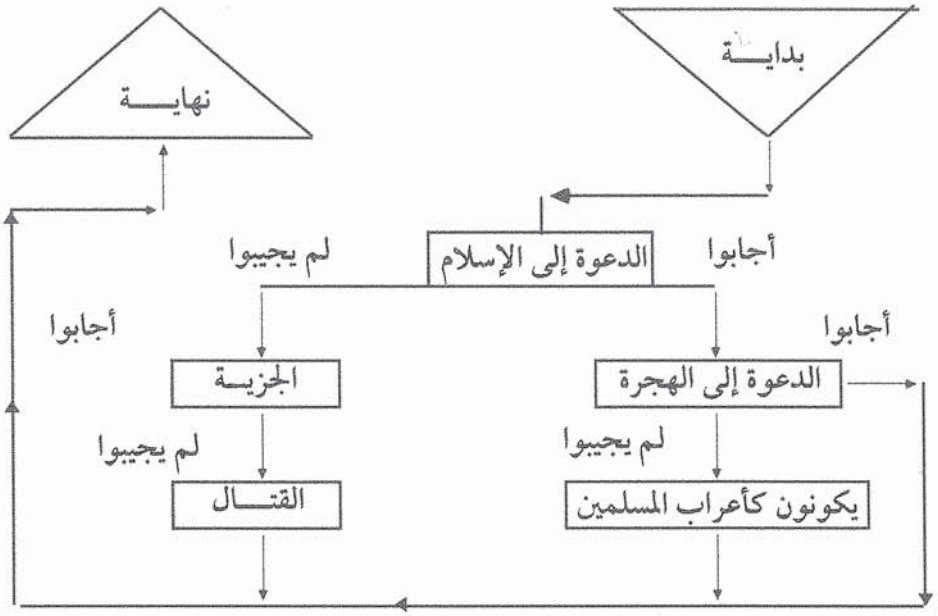

كما أن للحرب في الدعوة الإسلامية أهدافاً سامية وغايات عالية، فمن ذلك ما يلي: -

١ ليكون الدين لله، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ... ﴿١٩٣﴾﴾[1]. أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان[2]. ويدل على ذلك أيضاً ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣ .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٢٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلام، وحسابهم على الله»[١]. وكذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي موسى، قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حمية. فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل»[٢].

٢ـ إزالة الفتنة عن الناس، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ... ﴿١٩٣﴾﴾[٣]، والمقصود في الفتنة الكفر أو الشرك، ويدخل فيها ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين، ليصدوهم عن دينهم. ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[٤]. ويدخل في الفتنة أيضاً وضع العوائق التي تحول بين الناس وبين دعوة الحق، ويكون القتال في هذه الحال لإزالة تلك العوائق، حتى تصل دعوة الحق إلى الناس.

٣ـ الدفاع عن المسلمين، ورد اعتداء المعتدين، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[٥]. وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٦].

(١) كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٥.
(٢) كتاب العلم، حديث رقم ١٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٣.
(٤) سورة النساء، الآية ٧٥.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٩٠.
(٦) سورة الحج، الآية ٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا كانت هناك فرصة لتجنب الحرب لمصلحة الدعوة، فإن النبي (ﷺ) يغتنمها، كما في هذا الصلح، وقد بين رسول الله (ﷺ) رغبته في البعد عن الحرب، أولاً حين خرج محرماً من المدينة لا يريد قتالاً، وثانياً حينما قيل له إن الناس قد جمعوا لك الأحابيش، قال: «والله لا يعطوني خطة يعظمون فيها حرمات الله . . . » وذلك إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ترك الحرب لو تركوها، وكان في تركها مصلحة.

ولا بد هنا من وقفة موجزة حول وصف الخطة، فقد وصفها النبي (ﷺ) بقوله: «يعظمون فيها حرمات الله» وذلك يعني ترك القتال في الحرم، ووقع في رواية ابن إسحاق: «يسألونني فيها صلة الرحم» هي من جملة حرمات الله، وقيل المراد بالحرمات حرمة الحرم والشهر والإحرام، وفي الثالث نظر، لأنهم لو عظموا الإحرام ما صدوه عن البيت. وقال الخطابي: معنى تعظيم حرمات الله في هذه القصة: ترك القتال في الحرم، والجنوح إلى المسالمة، والكف عن إراقة الدماء[1].

هذا هو وصف الصلح الذي يريد رسول الله (ﷺ) قبوله، وهو الصلح الجاد الذي في منفعة للطرفين، وليس فيه ظلم ولا هضم للحقوق. أما غير ذلك فليس مقبولاً بتاتاً، فإن قادة الدعوة ورجالها لا يقبلون تلك المصالحات التي يكون فيها ظلم، وجور، واستخفاف بحقوق المسلمين.

وقد بين الرسول (ﷺ) في حالة عدم رغبتهم بالصلح النافع الخيار الآخر، وهو الحرب، ولم يبين لهم هذا الخيار من منطق ضعف وعدم جزم، بل من منطق قوة وحزم، وتدل على ذلك عبارته: «وإن هم أبوا فوالذي

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره» .
وجاء في هذه العبارة مؤكدات عدة، وهي القسم، ونون التوكيد في موضعين، وعدم ترك القتال حتى الموت، وإظهار الثقة بنصر الله .
و(السالفة) هي صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل، لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه، وقال الداودي: المراد الموت، أي حتى أموت وأبقى منفرداً في قبري، ويحتمل أن يكون أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم، وقال ابن المنير: لعله (ﷺ) نبه بالأدنى على الأعلى، أي أن لي من القوة بالله، والحول به ما يقتضي أن أقاتل عن دينه لو انفردت، فكيف لا أقاتل عن دينه مع وجود المسلمين وكثرتهم، ونفاذ بصائرهم في نصر دين الله تعالى[1].

وفي وقف الحرب وجد رسول الله (ﷺ) فرصة لتوسيع نطاق الدعوة، فقد بعث جملة من الرسائل الدعوية إلى الملوك وغيرهم .

كما وجد أيضاً فرصة لمواجهة أعداء الدعوة من اليهود، حيث خرج بعد نحو من شهرين فقط من الصلح لمحاربة اليهود في غزوة خيبر .

البند الثاني: رد من جاء محمداً (ﷺ) من المشركين وعدم رد من جاء قريشاً من المسلمين جاء في رواية البخاري: أن من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه [2].

ولمسلم من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن قريشاً صالحت النبي (ﷺ) على أنه من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه

(١) ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٩ .
(٢) راجع روايات بنود الصلح .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً[1].

و في رواية ابن إسحاق على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن يتبع محمداً لم يردوه عليه[2].

وكان هذا البند شاقاً على المسلمين، حتى قال المسلمون في ذلك: «سبحان الله! كيف يرد على المشركين وقد جاء مسلماً»[3]. وتطبيقاً لهذا الشرط رد رسول الله (ﷺ) يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال في تلك المدة إلا رده[4].

وقد حبس أبو جندل بمكة، ومنع من الهجرة، وعذب بسبب الإسلام، فلما رُد أخذ ينادي: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت! فاعتذر إليه الرسول (ﷺ) وطمأنه قائلاً: يا أبا جندل، أصبر واحتسب، فإنا لا نغدر، وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً. فوثب عمر مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر، فإنما هم مشركون، وإنما دم أحدهم كدم كلب، قال: ويدني قائمة السيف منه، يقول عمر رجوت أن يأخذه مني فيضرب به أباه، فضن الرجل - أي بخل - بأبيه، ونفذت القضية. قال الخطابي: تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين: أحدهما أن الله قد أباح التقية للمسلم إذا خاف

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ١٧٨٤.
(٢) راجع روايات بنود الصلح
(٣) كما في رواية البخاري، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.
(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٢٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجوده السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

والوجه الثاني أنه إنما رده إلى أبيه، والغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك، وإن عذبه أو سجنه، فله مندوحة بالتقية أيضاً، وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله، يبتلي به صبر عباده المؤمنين[١].

وكذلك ما كان من شأن أبي بصير[٢] ومن لحق به من المسلمين (رضي الله عنهم)، كما ورد في رواية البخاري: «ثم رجع النبي (ﷺ) إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال: أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد[٣]، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله (ﷺ) حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً، فلما انتهى إلى النبي (ﷺ) قال: قُتل والله صاحبي[٤]، وإني لمقتول[٥]، فجاء أبو بصير، فقال:

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٤.

(٢) بفتح الموحدة وكسر المهملة: رجل من قريش، هو عُتْبة بضم المهملة وسكون المثناة، وقيل فيه: عبيد، بموحدة مصغر ـ وهو وهم ـ ابن أسيد بفتح الهمزة على الصحيح ابن جارية بالجيم الثقفي، حليف بني زهرة (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٨).

(٣) أي مات.

(٤) وفي رواية ((قتل صاحبكم صاحبي)).

(٥) بمعنى إن لم تمنعوني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي (ﷺ): ويل أمه، مِسْعَر حرب لو كان له أحد[1]، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر[2]، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي (ﷺ) تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي (ﷺ) إليهم»[3].

دلت هذه الرواية على مالحق بالمشركين من الضرر من ذلك البند، فالبند في حقيقته نصر للمسلمين، حتى اضطرت قريش بعد ذلك أن تتنازل عنه لتسلم على رجالها وأموالها.

وأن الدولة الإسلامية في بداية نشأتها بحاجة إلى الرجال الأقوياء في إيمانهم، فإن من يسلم من كفار قريش، ويرد إلى المشركين في ذلك ابتلاء وامتحان له من الله سبحانه وتعالى بصدق إيمانه، فإن من صبر واحتسب فإن الله سبحانه وتعالى سيجعل له مخرجاً.

وأما من جاء قريشاً من أصحاب محمد (ﷺ)، فإن ذلك يعني أنه مرتد عن الإسلام، وبقاء مثل هذا بين المسلمين فيه ضرر على الدعوة وأهلها.

---

(١) وصف له بالإقدام على الحرب لو كان معه رجال يعينونه.

(٢) سيف البحر أي ساحله، وكان طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام، وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل، وهو قريب من بلاد بني سليم. (ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٥٠).

(٣) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأمة ليس لها حاجة في المرتدين. فكون قريش تقبلهم ولا تردهم على محمد (ﷺ) ليس فيه أي ضرر على المسلمين، بل فيه نفع لهم.

وأما النساء فإن رسول الله (ﷺ) لم يردهن إلى المشركين تنفيذاً لأمر ربه سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

والنساء المؤمنات اللاتي جئن مؤمنات إلى رسول الله (ﷺ) منهن أم كلثوم بنت عقبة ممن خرج، ومن المؤمنات المذكورات أميمة بنت بشر، وسبيعة بنت الحارث الأسلمية، وبروع بنت عقبة، وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة، وكان ممن خرج من النساء في تلك المدة بنت حمزة بن عبد المطلب[2].

والظاهر أنه لم يرتد أحد من النساء، وفي ذلك يقول ابن حجر: ما نعلم أن أحداً من المهاجرات ارتدت بعد ايمانها[3].

البند الثالث: تأجيل العمرة إلى العام المقبل

كان من بنود الصلح (أن يرجع النبي ﷺ ولا يعتمر في هذا العام، وأن يعتمر من قابل)[4].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٠.
(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٨.
(٣) الفتح ٥/ ٣٥١.
(٤) راجع روايات بنود الصلح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد كان الدافع إلى خروج المسلمين من المدينة هو زيارة البيت الذي طال عهدهم به، واشتاقت نفوسهم إليه، وكان ذلك إثر رؤيا رآها رسول الله (ﷺ)، فبشر أصحابه بذلك.

وكان لهذا القصد من زيارة البيت علامة ظاهرة، وهي الإحرام، وسوق الهدي، علماً بأن الغرب في ذلك الزمان ـ وبالأخص قريش ـ كانت تعظم البيت من غير إسلام، فكان حري بها أن تعين على تعظيم البيت، ولا تصد عنه أحداً، وهذا التوجه هو ما أشار به الحليس حين رأى البدن، كما ورد في رواية مسند الإمام أحمد أنه رجع إلى قومه فقال لهم: «يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحل صده: الهدي في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله»[1].

وكانت العودة من غير زيارة البيت أمراً شاقاً على صحابة رسول الله (ﷺ) ويدل عليه مقولة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لرسول الله (ﷺ): «أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به. قال النبي (ﷺ): بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف».

ولا شك أن الصحابة (رضي الله عنه) كانت نفوسهم تتشوق لهذا البيت وأداء العمرة حيث رأى النبي (ﷺ) في منامه قبل أن يعتمر أنه دخل هو وأصحابه البيت، فلما رأوا تأخير ذلك شق عليهم[2].

ومما يدل على شدة رغبة الصحابة (رضي الله عنهم) ما جاء في رواية البخاري: «قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا،

(١) المسند ٤/ ٣٢٤.
(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً»[1].

وفي توقف الصحابة (رضي الله عنهم) في تنفيذ الأمر قال ابن حجر: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك، لأنه كان زمان وقوع النسخ. ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال، فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور. ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم. وشكا رسول الله (ﷺ) ذلك لأم سلمة. قالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم، زاد ابن إسحاق: قالت أم سلمة: يا رسول الله لا تكلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي (ﷺ) أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه هو يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال. وعرف النبي (ﷺ) صواب ما

(١) الجامع الصحيح، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر[1].

التزم رسول الله (ﷺ) بتنفيذ هذا البند مع مشقته على النفوس، فقوم تغلغل في قلوبهم حب البيت العتيق ديناً، ومنهم من ألف العيش في جواره يطوف به متى شاء، لا يصده عنه صاد، ولا يمنعه عنه مانع، وهم المهاجرون من أهل مكة.

رجع المسلمون من دون عمرة، وعلى حسب الاتفاق جاؤوا في العام المقبل لذلك، ودخلوا مكة، وبقوا فيها ثلاثة أيام، والمشركون يرقبون الوضع، فلما كان يوم الثالث قالوا لعلي هذا آخر يوم من شرط صاحبك، فأمره أن يخرج فأخبره بذلك فقال نعم فخرج.

ولابد أن نعلم أن رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام أوفى الناس بالمواثيق، وأشد الناس بها التزاماً، ولا يعني سؤال المشركين لعلي الخروج أنهم تأخروا عن تنفيذ ذلك، ويبين النووي هذا الأمر فيقول: «فإن قيل كيف أحوجوهم إلى أن يطلبوا منهم الخروج ويقوموا بالشرط، فالجواب أن هذا الطلب كان قبل انقضاء الأيام الثلاثة بيسير، وكان عزم النبي (ﷺ) وأصحابه على الارتحال بعد انقضاء الثلاثة فاحتاط الكفار لأنفسهم، وطلبوا الارتحال قبل انقضاء الثلاثة بيسير، فخرجوا عند انقضائها وفاء»[2].

إن الوفاء بالعهود والمواثيق من الأخلاق الحميدة التي تحبها النفوس، ولا شك أن وفاء المسلمين بهذا الشرط، وخروجهم من البيت العتيق مع

(١) فتح الباري ٥/ ٣٤٧.
(٢) النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حبهم الشديد له، وأحقيتهم به، يترك في نفوس المشركين أثراً طيباً يضاف إلى الآثار الأخرى المترتبة على هذا الصلح المبارك مما يجعل أولئك يعرفون قدر الإسلام ومكانة المسلمين، وما يتمتعون به من خلق نبيل ووفاء بالعهود والمواثيق.

وفي الجانب الثاني من البند هو حالة السلاح وقت الدخول، وهو (ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح قال العلماء: وإنما شرطوا هذا لوجهين أحدهما أن لا يظهر منه دخول الغالبين القاهرين. والثاني أنه إن عرض فتنة أو نحوها يكون في الاستعداد بالسلاح صعوبة[١].

وقد وافق رسول الله (ﷺ) على هذا الجانب من الشرط، وذلك أن دخول مكة على الحالة الأخرى ليس لهم فيه حاجة، وليسوا أهل خيلاء أو تفاخر بإظهار السلاح، فإن جنود الدعوة أهل تواضع وذل لله سبحانه وتعالى، وحتى في حال دخولهم البلاد فاتحين منتصرين، فحالهم هنا حال المتواضعين الشاكرين لله سبحانه وتعالى، كما كانت حال رسول الله (ﷺ) عندما فتح أعظم البلدان (مكة)[٢].

وأما من حيث مدة البقاء في الثلاثة أيام فقال العلماء: سبب هذا التقدير أن المهاجر من مكة لا يجوز له أن يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام، وهذا أصل في أن الثلاثة ليس لها حكم الإقامة، وأما ما فوقها فله حكم الإقامة[٣].

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٦.
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٤٠٥.
(٣) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمدة ولو كانت قصيرة فإنها كافية للمسلمين لأداء النسك الذي جاؤوا من أجله وهو العمرة.

البند الرابع: دخول القبائل الأخرى في الحلف

جاء في رواية ابن إسحاق: وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه[1].

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وأنك عامك هذا فلا تدخل مكة علينا، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب: السيوف، ولا تدخلها بغيره[2].

إن طرفي الصلح هما المسلمون من جهة، وكفار قريش من جهة أخرى، وأما القبائل الأخرى فكانت علاقتها بهذا الصلح بالاختيار، فمن أرادت الدخول في حلف المسلمين فلها ذلك، ومن أرادت الدخول في حلف قريش فلها ذلك.

ونجد هنا قبيلتين دخلتا في هذا الحلف اختياراً وهما خزاعة التي دخلت في عقد محمد وعهده، وبنو بكر التي دخلت في عقد قريش وعهدها، وهاتان القبيلتان بينهما من قبل شيء من العداوة والثأر.

ثم دخول هاتين القبيلتين في هذا الحلف هو الذي حمل كفار قريش على نقض العهد، فكان فتح مكة على إثره. فقد روى البيهقي عن مروان ابن الحكم والمسور بن مخرمة قالا: كان في صلح رسول الله (ﷺ) يوم

(١) راجع روايات بنود الصلح.
(٢) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٣١٧. وابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فدخلت خزاعة في عقد محمد (ﷺ)، ودخلت بنو بكر في عقد قريش، فمكثوا في الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشرة شهراً، ثم إن بني بكر الذين دخلوا في عقد قريش وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله (ﷺ) ليلاً بماء لهم يقال له الوتير قريب من مكة، وقالت قريش: هذا ليل، وما يعلم بنا محمد، ولا يرانا أحد، فأعانوا بني بكر بالسلاح والكراع، وقاتلوا خزاعة معهم، للضغن[1] على رسول الله (ﷺ)، وركب عمرو بن سالم إلى رسول الله (ﷺ) بعد ذلك يخبره الخبر، فلما قدم عليه أنشده:

اللهم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجداً فقتلونا ركعاً وسجداً
فانصر رسول الله نصراً أعتدا

فقال رسول الله (ﷺ): نصرت يا عمرو بن سالم. ثم أمر الناس فتجهزوا، وسأل الله أن يعمي على قريش خبرهم حتى يبغتهم في بلادهم. وفي رواية: أن أبا بكر قال له: يا رسول الله، ألم تكن بينك وبينهم مدة؟ قال: ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب[2]؟. وفيه فقال أبو بكر يا رسول الله أوليس بيننا وبينهم مدة قال إنهم غدروا، ونقضوا العهد، فأنا غازيهم. ثم ذكر الحديث[3].

(١) الضغن بمعنى الحقد (الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢١٥٤ .
(٢) السنن الكبرى ٩/ ٢٣٣ . وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ٦/ ١٦٢ . و ابن أبي شيبة، المصنف ١٤/ ٤٨٢ .
(٣) نصب الراية ٣/ ٣٩٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم لابد أن نعلم أن المسلمين لم يطلبوا هذا البند، من أجل أن يتقووا على قريش لمقاتلتهم، إنما الذي عرض ذلك على ظاهر الرواية هم أهل مكة فقبلها رسول الله (ﷺ)، وكانت فيها نهايتهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، فقد ظنوا أن ذلك الحلف فيه مصلحة لهم، فكانت فيه نهايتهم.

البند الخامس: أن بينهم عيبة مكفوفة

جاء من ضمن بنود الصلح: وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة[1].

والعَيْبَة ما يجعل فيه الثياب مكفوفة أي مشدودة ممنوعة، أي أمراً مطوياً في صدور سليمة، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم الحرب وغيرها والمحافظة على العهد الذي وقع بينهم[2].

ومن المعلوم أنه عند وجود عداوة بين طائفتين أن هذه الحال لا تخلو من أن يتحدث كل فريق عن الفريق المقابل بما من شأنه أن يكون عيباً أو تهديداً أو وعيداً أو انتقاداً، وهذا يسمى بالمصطلح المعاصر بالحرب الكلامية.

وهذا النوع من السلوك ربما لا يغني شيئاً إلا انشغالاً بالكلام والتصريحات. وهو مما يزيد في شدة العداوة بين الطرفين. وموقف المسلمين من غيرهم ليس موقفاً عدوانياً صرفاً، بل هو محكوم بهذا الدين، فمن

---

(١) راجع روايات بنود الصلح.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٣٣. والعظيم أبادي، عون المعبود ٧/ ٤٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دعي إلى هذا الدين وآمن به أصبح ولياً. ومن صد عنه وعادى أهله أصبح عدواً.

وتوقف الحرب العسكرية بين الطرفين بعهد لا يستقيم إلا بتوقف الحرب الكلامية، حتى لا تكون سبباً في نقض العهد، وإثارة الحرب مرة أخرى.

ويضاف إلى ذلك أمر أهم في الدعوة الإسلامية، وهو أن لها هدفاً آخر من وراء توقف الحرب بين الطرفين، وهو نشر الدعوة بالطريقة السلمية، فتوقف الحرب الكلامية بينهم مما يقرب المدعوين إلى الدعاة، وكذلك الدعاة من المدعوين، ويبعد أسباب النفرة بين الطرفين، فيكون الجو مهيأً لاستقبال الدعوة.

ثم لا ننسى أن المسلمين ليس من طبيعتهم أصلاً اللجوء إلى هذا الأسلوب من المواجهات. إلا في حدود ما تقتضيه المصلحة. ومن الأدب العام لهذه الأمة المسلمة ما وجه به نبيها وقائد مسيرتها محمد (ﷺ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

ولا يعني الكف عن ذلك الولاء والمحبة لهم، بل تكون العلاقة القلبية على حالها، فهي من قبل المسلمين مقيدة بعقيدتهم، فالمحبة والولاء للمؤمنين، والبغض والعداء للكافرين.

وقد جاء الإعلان من الله سبحانه وتعالى بالبراءة من المشركين بقوله: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾[1]. وأن هذه البراءة لا تزول بمجرد الصلح،

(١) سورة التوبة، الآية ٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل لابد لزوالها من الإيمان بالله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[1]، فالتوبة تكون مما هم عليه من الشرك، ويدخلون في الإيمان ويقومون بلوازمه من الصلاة والزكاة ونحوها.

البند السادس: أنه لا إسلال ولا إغلال

جاء في بنود الصلح من رواية ابن إسحاق: وأنه لا إسلال ولا إغلال[2] أي لا سرقة ولا خيانة، فالإسلال من السلة وهي السرقة، والإغلال الخيانة، تقول أغل الرجل أي خان، أما في الغنيمة فيقال: غل بغير ألف. والمراد أن يأمن بعضهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سراً وجهراً. وقيل: الإسلال من سل السيوف، والإغلال من لبس الدروع ووهاه أبو عبيد[3].

وعلى المعنى الأول من السرقة والخيانة فإن المسلمين بعيدون عن ذلك من غير عهد، فقد جاء دينهم يحرم عليهم هذه الأمور.

ففي السرقة جاء التهديد والوعيد والحد على السارق، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[4].

وفي الخيانة جاء النهي الشديد عنها في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

(١) سورة التوبة، الآية ١١.
(٢) راجع روايات بنود الصلح.
(٣) ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٣٤٤. وعون المعبود ٧/ ٤٥٢.
(٤) سورة المائدة، الآية ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ [١]. وقد جعل النبي (ﷺ) الخيانة وعدم الأمانة من صفات قوم يأتون بعد صحابته، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي (ﷺ): «إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»[٢]. وفي حديث آخر عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[٣].

فالمسلم من غير عهد يجب أن يبتعد عن هذه الأمور، والداعية بشكل خاص هو أبعد الناس عن ذلك، فكيف برسول الله (ﷺ) خير البشرية، وصحابته الكرام خير الأمة، فهم أكمل الناس تطبيقاً لهذا الدين.

إذاً يمكن القول أن هذا البند ينصرف إلى المشركين فهم الذين يتوقع منهم ذلك، فلا دين يعصمهم، ولا عادات تردعهم، خاصة إذا علمنا أن السرقة والخيانة كانت فاشية عند بعضهم في ذلك الزمان.

إذاً فهذا البند فيه مصلحة دعوية كبرى، فإن المسلمين من جهتهم يأمنون الكفار في هذا الأمر، وأما كفار قريش فإن هذا البند لن يعطيهم شيئاً جديداً، لأن المسلمين في الأصل ليسوا أهل سرقة ولا خيانة حتى من غير عهد.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، حديث رقم ٢٦٥١.

(٣) أخرجه الأمام أحمد ٣/ ٤١٤. والترمذي في سننه ٣/ ٥٦٤. وقال: هذا حديث حسن غريب. وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩: صحيح. وأخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٨٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع: ثمار الصلح الدعوية

كان الصلح في الصورة الظاهرة ضيماً للمسلمين، وفي الصورة الباطنة عزاً لهم، ومصلحة كبرى للدعوة، وكان بمثابة النصر للدولة الإسلامية، ولقد سماه الله سبحانه تعالى فتحاً، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال ابن كثير: أي بيناً ظاهراً، والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع الإيمان[1]. وانتشر الإسلام بسببه بشكل أوسع في الجزيرة العربية وما حولها، ومن أبرز ثمار هذا الصلح الدعوية ما يلي:

١ ـ فتح مكة، يعد فتح مكة من أهم ثمار صلح الحديبية، فإنه لما كان الصلح ونقضه المشركون كان ذلك سبباً مباشراً لدخول المسلمين إلى مكة وفتحها، قال ابن حجر في الفتح: المراد بالفتح هنا الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام، والوصول إلى المدينة، من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح[2]. وقال النووي: ومن ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي (ﷺ) كما هي، ولا يحلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٨٣ .
(٢) فتح الباري ٧/ ٤٤١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة، وحلوا بأهلهم وأصدقائهم، وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي (ﷺ) مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فما زلت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلمت قريش، أسلمت العرب في البوادي[1].

٢ ـ اعتراف قريش بمكانة المسلمين، كفريق قوي تبرم معه المعاهدات. وقد رضوا منم بهذا الصلح أن يكفوا عنهم، قال موسى بن عقبة: قال رجل عند منصرفهم من الحديبية: ما هذا بفتح، لقد صدونا عن البيت، فقال النبي (ﷺ): بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا[2].

٣ ـ استراحة المسلمين من الحرب، التي شغلتهم واستهلكت قوتهم، وهذه الحروب التي خاضها المسلمون كلها طاعة لله سبحانه وتعالى، وفيها من الخير الكثير. إلا أن الحرب لها تبعاتها، ولها تكاليفها في النفس

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٢٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/ ١٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمال. واستراحة المسلمين منها في فترة -ولو كانت وجيزة- فيه خير لهم لأمور أخرى، للاستعداد لها في حروب قادمة.

٤ ـ بذل الجهد في الدعوة إلى الإسلام في ظل الأمن والسلام.

٥ ـ تفرغ الرسول (ﷺ) لمخاطبة قادة بعض الدول، كقيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس، وأمراء الأعراب، ودعوتهم إلى الإسلام. ومنها ما يلي:

كتابه إلى هرقل (عظيم الروم)، الذي أرسل به دحية بن خليفة الكلبي (رضي الله عنه)، جاء فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[1]، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2][3].

وكتابه إلى كسرى (عظيم فارس)، الذي أرسل به عبدالله بن حذافة السهمي، وجاء فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر

(١) المقصود بهم الأتباع الذين لم يسلموا تقليداً له.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس»[١].

وكتابه إلى النجاشي (ملك الحبشة)، الذي أرسل به عمرو بن أمية الضمري.

وكتابه إلى المقوقس (ملك مصر والإسكندرية)، الذي أرسل به حاطب ابن أبي بلتعة، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي بعث بها رسول الله (ﷺ) إلى الملوك وغيرهم، والهدف منها دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى[٣].

٦ ـ أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين أن يختلط بعضهم ببعض، فيطلع المشركون على محاسن الإسلام[٢]. وفي هذا يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتحاً قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك[٤].

٧ ـ تفرغ الرسول (ﷺ) لمحاربة عدو آخر من أعداء الدعوة، وهم اليهود، حيث خرج رسول الله (ﷺ) بعد نحو من شهرين إلى غزوة خيبر. ففتحها الله على نبيه (ﷺ)، وغنم المسلمون غنائم كثيرة في هذه الغزوة،

(١) ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٦٨٨.
(٢) انظر نصوص هذه الكتب وغيرها عند ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٦٨٨ وما بعدها.
(٣) انظر: الندوي، السيرة النبوية ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.
(٤) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٣٢٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن حجر: المراد بقوله تعالى ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] فتح خيبر على الصحيح، لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين، وعن مجمع بن حارثة قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله (ﷺ) واقفاً عند كراع الغميم، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية، فقال رجل: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: أي والذي نفسي بيده، إنه لفتح ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية[2].

٨ ـ ازدياد عدد المسلمين في هذه الفترة زيادة كبيرة، يقول الزهري في هذا: وقال الزهري لقد كان الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي (ﷺ) جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض، وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف[3]. ويقول أيضاً: ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك[4]. وقال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله (ﷺ). خرج من المدينة إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ـ في قول جابر بن عبدالله ـ ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[5].

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٢٠. وأبو داود في سننه ٣/ ٤١٣. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٨٦: حسن. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٣١. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٧٣.

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٣٢٢.

(٥) المرجع السابق، المكان نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمـــــة

بعد البحث والتأمل في ذلك الصلح المبارك (صلح الحديبية) الذي جعله الله سبحانه وتعالى فتحاً لهذه الأمة أدركنا جانباً من حكمة النبي (ﷺ) الدعوية في تعامله مع المشركين في هذا الصلح، وتبين ذلك ابتداءً من خروجه إلى الحديبية، حيث نوى السلم، واستعد للحرب في حال وقوعها. ومروراً بالرسائل الشفوية التي وجهها على قريش قبل بداية الصلح، مما كان له الأثر البالغ في جعل قريش تتنازل عن كبريائها، وتطلب الصلح مع رسول الله (ﷺ). وكذلك ما كان من رسول الله (ﷺ) أثناء كتابة الصلح من التنازل عن عبارات لم يوافق عليها المشركون، وكان النبي (ﷺ) يعلم أن تنازله عن ذلك ليس فيه غبن للمسلمين، ثم ما تبع ذلك كله من تلك البنود الواردة التي وافق عليها رسول الله (ﷺ)، وعاقبتها الحميدة للإسلام والمسلمين، في حين أن بعض صحابته (رضي الله عنهم) على مكانتهم وجلالة قدرهم دخل في نفوسهم في بداية الأمر شيء بسبب ذلك الصلح حين خفيت عليهم الحكمة من ورائه.

ومن خلال هذا البحث يمكن التوجه ببعض التوصيات على النحو التالي:

١ ـ التعمق في دراسة الحكمة الدعوية في جوانب مختلفة من سيرة النبي (ﷺ).

٢ ـ الاعتناء باختيار المفاوضين في أمور الصلح من أهل الحكمة والنظر البعيد.

٣ ـ التسليم لقادة الدعوة الموثوقين في الأمور المهمة، والتنازل عن الاجتهادات والآراء الشخصية في هذه المسائل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ ـ عند خفاء الحكمة في إجراء معين من أمور الدعوة وتساؤل الناس عن ذلك يحسن بقائد الدعوة تجليتها وإيضاحها لإقناع الناس بها .

٥ ـ الثقة بنصر الله سبحانه وتعالى وعدم الاستعجال في جني ثمار الجهود الدعوية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجـــع

١ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق وضبط علي شيري، ط١ (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨هـ).

٢ ـ الإمام أحمد، المسند، ط٥ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

٣ ـ أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع، نشر (مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة).

٤ ـ أحمد محمد القسطلاني، المواهب اللدنية، تحقيق صالح أحمد الشامي. ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ).

٥ ـ الألباني، صحيح سنن أبي داود، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ).

٦ ـ الألباني، صحيح سنن الترمذي، ط١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ).

٧ ـ البخاري، الجامع الصحيح، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠).

٨ ـ ابن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، نشر (مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧١هـ).

٩ ـ البيهقي، السنن الكبرى، ط١ (دار المعارف، حيدر أباد، ١٣٥٦).

١٠ ـ الترمذي، السنن، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، نشر(دار إحياء التراث العربي).

١١ ـ الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣ (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٢ ـ حافظ الحكمي، مرويات غزوة الحديبية ، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة).

١٣ ـ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، نشر (دار المعرفة ، بيروت).

١٤ ـ ابن حجر ، فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، نشر(رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض) .

١٥ ـ ابن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير (القاهرة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ARAB JOURNAL FOR SECURITY STUDIES & TRAINING

- *Eloquence in Prophetic Words as Reflective in Some Traditions on Al-Fitn and State Functioning* — **Dr. Mohammed S. al-Saiqal**
- *Biological Analysis of Human Genetics and its Rationale in Identity Confirmation* — **Dr. Mohammed Y. al-Nujaimi**
- *Disguised Wisdom in Al-Hudaibiya Truce* — **Dr. Suleiman Qasim al-Eid**
- *Sworn Declaration of Personal Assets by the State Governors: Priorities of Umar bin al-Khattab* — **Prof. Mohammed H. Hammad**
- *Mass Media and its Impact on Muslim Family Education: Realities and Expectations* — **Dr. Abdullah M. Hariri**
- *Impact of Legal Government on the Protection of Human Rights* — **Dr. Ahmad B. Nur al-Din al-Rifai**
- *School Management on Combating Deviation* — **Dr. Abdul Mohsin A. Al-Samih**
- *Legal Protection of Secrecy in Electronic Communication* — **Dr. Marcia G. Kutrieh**

Year 19

Volume 19 . No. 37 . March. 2004 . Published by: Naif Arab University for Security Sciences - Riyadh

ISSN 1241 - 1319

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في